كيف يحين عن الحياة من يعتقد أن له فيها عملا يضطلع به ، وأن له فيها ثمرة يرتقب أن يحين قطافها يوما بعد يوم ؟...

لا غرو أن يرفع العمل من معنوية الإنسان ، وأن يحبب إليه العيش ، وأن يدفعه فى سبيله إلى المجالدة والصراع . فتقوى فيه روح المغامرة ، ويمضى به الطماح إلى بعيد الآفاق !...

كنت أجتاز عامى السابع ، فإذا المرض يدهمنى ، وإذا هو ثقيل الوطأة يتهددنى ، وقد استلان جانبى واستضعفنى ، حتى بلغت عصر الشباب ، وأنا أكاد أستيئس من الحياة ، وأحس دنو النهاية القاضية ! ...

ولكنى فى هذه الفترة وجدتنى أنساق إلى نوع من العمل ، أدين له الآن بكيانى كله ، ذلك هو الأدب ... تعلقت نفسى بأن أبلغ منه مأربا ، وأرمى فيه إلى هدف ... إذ كانت « مصر » لذلك العهد فى مقتبل نهضة ، وبواكير ثورة ، والوعى القومى يستشرف لطابع وطنى خاص متميز فى مرافق العيش ، فاستهوانى أن أسعى مع الساعين إلى تقويم الطابع المصرى للأدب فى إطار من القصص الفنى ، فجرى هذا العمل تيارا فى دمى ، وصار جوهر حياتى ، يملك على أمرى كله ! ...

وعلى الرغم من أن المرض لم يتخل عن صحبتى ، فهأنذا